﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِـَٔايَـٰتِ رَبِّهِۦ ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَآ ۚ إِنَّا مِنَ ٱلْمُجْرِمِينَ مُنتَقِمُونَ ﴿٢٢﴾﴾ [السجدة: 22]

❁ مُناسَبَةُ الآيَةِ لِما قَبْلَها:

أظلمُ النّاس من ذُكِّر بأشدِّ أسباب التَّذكير ثم عاند في كفره

لمّا ذكرتِ الآية السّابقة غرَضَ إذاقة المشركين عذابَ الدُّنيا قبل عذابِ الآخرة، وهو الرُّجوع إلى الحقِّ وترك الباطل؛ ناسب أن يذكر شأنَ من لم يرجع عن باطله، وبقي في غيِّه، بأنَّه أظلم النّاس؛ لأنَّه عندما ذُكِّر بآيات الله أعرض عنها، فاستحقَّ بذلك وصْفَ الإجرام، فهو انتقالٌ من بيان نزول الرَّحمة في التَّعذيب، إلى بيان حال من عاند، وأصرَّ على تكذيبه وكُفره وظُلمه.

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿أَظْلَمُ﴾: (ظلم) أصلان صحيحان، أحدهما خلاف الضياء والنور، والآخر وضع الشيء غير موضعه تعدّيًّا[1]، إمّا بنقصانٍ أو بزيادةٍ، وإما بعدول عن وقته أو مكانه، ومن هذا يقال: ظلمت السِّقاء؛ إذا تناولته في غير وقته[2]، ومدار معنى هذا اللَّفظ حول حَجْب ما ينبغي أو ما يُستحَقُّ، أي: مَنعُه وانتقاصُه[3]، ومعنى اللفظ في الآية: هو ظلم النَّفس في إصرارها على التَّكذيب بآيات الله تعالى بعد الإبانة والإيضاح.

2) ﴿أَعْرَضَ﴾: (عرض) بناءٌ تكثر فروعه، وهي مع كثرتها ترجع إلى أصلٍ واحد، وهو العرض الذي يخالف الطول[4]، والإعراضُ عن الشَّيء: الصَّدُّ عنه، ويُقال: أعْرض فلانٌ، أي: ذهب عَرْضًا وطولًا[5]،

(1) ابن فارس، مقاييس اللغة: (ظلم).
(2) الراغب، المفردات: (ظلم).
(3) جبل، المعجم الاشتقاقي: (ظلم).
(4) ابن فارس، مقاييس اللغة: (عرض).
(5) الفارابي، المنتخب من صحاح الجوهري: (عرض).

والمعنى المحوريُّ: اتِّساع ما يواجه النّاظر من الشَّيء الكثيف[1]، ومعناه في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَعۡرَضَ عَنۡهَاۚ﴾، أي: لم يؤمن بها، ولم ينتفع بها، بل كفر بها، واستكبر عنها.

3) ﴿مُنتَقِمُونَ﴾: (نقم) يدلُّ على الإنكار والكراهة، وتأتي صيغة الافتعال للأخذ بمقتضى ما في النَّفس مِن غضب وإنكار، وأصل صيغة (افتعل)؛ لتحصيل الفعل للنَّفْس، وهو الاتِّخاذ، وتأتي للاجتهاد في أداء الفعل بالمبالغة فيه، فما جاء في القرآن من هذا الجذر على صيغة (فعل)؛ فهو بمعنى المبالغة في كراهة الشيء[2]، وما جاء على صيغة (افتعل) وما تَصَرَّف منها؛ فهو لمقتضى الكراهة، وهو العقوبة[3]، ﴿فَلَمَّآ ءَاسَفُونَا ٱنتَقَمۡنَا مِنۡهُمۡ﴾ [الزخرف: 55] ﴿وَٱللَّهُ عَزِيزٞ ذُو ٱنتِقَامٖ ۝٤﴾ [آل عمران: 4]، فمعنى الانتقام التَّعذيبُ الشَّديدُ في الآخرة، وهو المراد بقوله تعالى: ﴿دُونَ ٱلۡعَذَابِ ٱلۡأَكۡبَرِ﴾.

❁ المَعْنى الإجْماليُّ:

من لم تُصلحه المشاهدات؛ حلَّت به النِّقمات

تُبَيِّنُ الآية الكريمة أنَّه لا أحد أظلم مِمَّن توالى عليه التذكير بآيات الله مرَّةً بعد مرَّةٍ، ثُمَّ أعرض، وصدَّ عن سبيل الله تعالى، فإنَّه سيناله عذابٌ من الله شديد انتقامًا منه؛ لأنَّ العناد بعد رؤية الحقائق البيِّنات، والدلائل الواضحات، لهو أشدُّ مِنَ العناد بدونها، فإنَّ للمشاهدة وقعًا لا يغادر القلب السَّديد حتى يُصلحه، فإن لم تُصلِحْه المشاهدات؛ وقع عليه انتقامُ الجبّار.

❁ الإيضاحُ اللُّغويُّ والبَلاغيُّ:

نوع الواو ودلالتها:

الواو تحتمل الاستئناف والعطف

تحتمل الواو في قوله تعالى: ﴿وَمَنۡ أَظۡلَمُ﴾ الاستئناف[4]، وتحتمل

(1) جبل، المعجم الاشتقاقي: (عرض).
(2) الأزهري، تهذيب اللغة: (نقم).
(3) جبل، المعجم الاشتقاقي: (نقم).
(4) محمود صافي، الجدول في إعراب القرآن: 21/ 118.

العطف على ما سبق، إمّا على الآية السّابقة، والمعنى: لنذيقنَّهم، ولا يرجعون، فيكونون قد ذُكِّروا بآيات الله من النِّعَم أوَّلًا والنِّقَم ثانيًا، ولم يؤمنوا، فلا أظلم منهم أحد؛ لأنَّ مَن يكفر بالله ظالمٌ، فإنَّ الله لذوي البصائر ظاهرٌ، لا يحتاج المستنير الباطن إلى شاهدٍ يشهد عليه، بل هو شهيدٌ على كُلِّ شَيءٍ[1]، وإمّا عطفًا على جملة: ﴿إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِـَٔايَـٰتِنَا ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُواْ بِهَا﴾ [السجدة: 15]، حيث اقتضت أنَّ الذين قالوا: ﴿أَءِذَا ضَلَلْنَا فِى ٱلْأَرْضِ أَءِنَّا لَفِى خَلْقٍ جَدِيدٍ﴾ [السجدة: 10]، ليسوا كأولئك، فانتقل إلى الإخبار عنهم بأنَّهم أشدُّ النّاس ظلمًا؛ لأنَّهم يُذَكَّرون بآيات الله حين يُتلى عليهم القرآن، فيُعرِضون عن تدبُّرِها، ويَلغون فيها[2].

بلاغةُ الاستفهام ومعناه:

أعـظـمُ الـنّـاس جرمًا من أعرض بعد البيان

وَقَعَ الاستفهام بأداة (مَن) في قوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ﴾ على معنى: (لا أحد أظلمُ مِمَّن هذه صفته)[3]، فالمرادُ نفيُ الأظلميَّة عن كلِّ أحدٍ، وإثباتُها لِمَن هذه صفته، فيكون خبرًا[4] وتقريرًا، وهذا من أفصح التقرير أن يوقف الأمر على ما لا جواب له فيه إلّا الذي يريد خصمه، مع ما في الاستفهام من معنى التَّهويل والتَّفظيع لمن سلك مسلك الإعراض بعد البيان، والعناد بعد الاتِّضاح.

بلاغةُ استعمال مفردة ﴿أَظْلَمُ﴾ مادَّةً وصيغةً:

أظلمُ النّاس من كفر ثـمَّ أعـرض بعد التَّذكير

جاء استعمال مفردة الظلم، في قوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِـَٔايَـٰتِ رَبِّهِۦ ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَآ﴾، بصيغة اسم التفضيل، وذلك لبيان أنَّهم أظلم النّاس، فإنَّ الإعراض بعد التَّذكير هو ظلمٌ سحيقٌ، فالتَّعبير باسم التفضيل في سياقه يدلُّ على تماهي هذا الظالم

(1) الفخر الرّازي، مفاتيح الغيب: 25/ 149.
(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 21/ 233.
(3) ابن عطية، المحرر الوجيز: 4/ 363.
(4) الزركشي، البرهان: 3/ 97.

الذي لم يرعوِ، ولم ينصع لآيات الله، فكان أشدَّ الناس ظلمًا وبُعدًا عن الحقِّ الواضح الظاهر، وفي صيغة اسم التفضيل معنى التَّعجُّب؛ لأنَّهم ظلموا أنفسهم مرَّتين: ظلموها أوَّلًا بإطفاء جذوة الإيمان الَّتي أودعها الله فطرَتهم، وظلموا أنفسهم ثانيًا؛ إذ أبوا أن يستجيبوا لمن يدعوهم إلى تعاطي الدواء الذي يشفي هذا الداء الذي مَكَّنوه منهم، فأفسد فطرتهم[1].

توجيهُ إشكال في الحكم بالأظلميَّة على أنواعٍ متباينة:

الأظلميَّةُ وصفٌ تتساوى فيه الأنواع أو تتباين باعتبارات مختلفةٍ

تكرَّرت صيغةُ ﴿أَظْلَمُ﴾ في القرآن في أكثر مِن موضع، من مثل قوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ﴾ [الأنعام: 21]، وقوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِـَٔايَـٰتِ رَبِّهِۦ﴾، وقوله تعالى: ﴿۞فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَذَبَ عَلَى ٱللَّهِ﴾ [الزمر: 32]، وكلُّ واحدةٍ منها تقتضي أنَّ المذكورَ فيها لا يكونُ أحدٌ أظلمَ منه، فكيف يُوصفُ غيرُه بذلك؟.

والجواب أنْ يُخَصَّ كلُّ واحدٍ منها بمعنى صلتِه، كأنَّه قال: لا أحدَ من المانعين أظلمُ مِمَّن مَنَعَ مساجدَ الله، ولا أحدَ من المفترين أظلمُ مِمَّن افترى على الله، ولا أحدَ من الكذّابين أظلمُ مِمَّن كَذَب على الله تعالى، أو أن يتعلَّق الجواب بالتَّخصيص والأسبقيَّة، أي: إنَّه لمّا لم يُسْبَقْ أحدٌ إلى مثله؛ حَكَم عليهم بأنَّهم أظلمُ مِمَّن جاء بعدَهم سالكًا طريقتَهم في ذلك، وتخريجٌ ثالثٌ يتعلَّق بالتساوي بين كُلِّ هؤلاء، فهؤلاء جميعًا متساوون في الأظلميَّة، فلم يكنْ أحدٌ مِمَّن وُصِف بذلك يزيدُ على الآخر؛ لأنَّهم متساوون في ذلك، وصار المعنى: لا أحدَ أظلمُ مِمَّن مَنَع، ومِمَّن افترى، ومِمَّن ذُكِّر، ولا إشكالَ في تساوي هؤلاء في الأظلميَّة، ولا يَدُلُّ ذلك على أنَّ أحد هؤلاء يزيدُ على الآخرِ في الظُّلم[2].

(1) عبد الكريم الخطيب، التفسير القرآني للقرآن: 11/ 625.
(2) السمين الحلبي، الدر المصون: 2/ 77.

غرضُ استعمال الاسم الموصول:

كـلُّ مَـن ذُكِّـر بـالآيـات ثـمَّ أعـرض عنـها؛ فـداخـلٌ في مفهوم الأظلميَّة

جاء استعمال الاسم الموصول (مَن)، في قوله تعالى: ﴿مِمَّن ذُكِّرَ بِـَٔايَـٰتِ رَبِّهِۦ ثُمَّ أَعۡرَضَ عَنۡهَآۚ﴾؛ لاشتمال عموم الظالمين، فإنَّه اسمٌ موصولٌ مشتركٌ، يصلح للمفرد والمثنى والجمع، لا يَدُلُّ على شخص بعينه، وإنَّما ينتظم كلَّ فَرْدٍ ذُكِّر بآيات ربِّه، ولم يُؤمن بها، فالجملة الموصوليَّة مع الماضي "قُصِدَ بها الالتباس والاستصحاب"[1]، وفي ذكر الصِّلة والموصول دلالة على أنَّ التَّذكير قد حدث بناء على دلالة الماضي في الفعل ﴿ذُكِّرَ﴾ الواقع صلة للموصول، وقد أفاد الاسم الموصول التَّشويق إلى ذكر الصِّلة ﴿ذُكِّرَ بِـَٔايَـٰتِ رَبِّهِۦ﴾، ثمَّ في الصِّلة والموصول تمهيدٌ لذكر ما بعد حرف العطف ﴿ثُمَّ﴾ بذكر الفعل ﴿أَعۡرَضَ﴾؛ لبيان وقت الإعراض.

نكتةُ استعمال فعل ﴿ذُكِّرَ﴾ مادَّةً وصيغة:

الإهـمـال والنسيان سِمتا المُعرِض الغافل

بُني فعل ﴿ذُكِّرَ﴾ للمفعول لقصد الاتِّساع في الأشخاص والزمان، فالتذكير عامٌّ، أي: ذَكَّر بها أيُّ مُذَكِّرٍ كان في أيِّ وقتٍ كان[2]، فالمقصود التَّنبيه على معنى التذكير بوجه عام، وفي اختيار فعل ﴿ذُكِّرَ﴾ إشارة إلى مسلك النِّسيان والترك والإهمال الذي انتهجه المذكَّرون، مع أمل أن يُدركوا ما تركوه، فينجوا مِن العذاب الأكبر الذي أُعدَّ لهم.

نوعُ الباء ومعناها:

شِـدَّة اتِّـصـال الذِّكر بالآيات

الباءُ في قوله تعالى: ﴿وَمَنۡ أَظۡلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِـَٔايَـٰتِ رَبِّهِۦ﴾ على الإلصاق، وهو معنًى لا يفارق الباء[3]، والإلصاق يعني: شِدَّة اتِّصال الشيء بالشيء، والآيات هنا اتَّصلت بالذِّكر اتِّصالًا وثيقًا، وتلبَّست به، فما مِن ذِكرٍ إلّا وتكون الآيات أداتَهُ المكينة التي تُبيِّن، وتُرشِدُ، وتهدي السبيل.

(1) محمد عبد الخالق عضيمة، دراسات لأسلوب القرآن الكريم: 1/ 187.
(2) البقاعي، نظم الدرر: 15/ 254.
(3) المرادي، الجنى الداني، ص: 36.

غرضُ إضافة لفظ الآيات إلى لفظ الرُّبوبيَّة:

شـرفُ الآيـات بـشـرف مَـن أُضيفت إليه

أُضيف لفظُ الآيات إلى عنوان الرُّبوبيَّة، في قوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِـَٔايَـٰتِ رَبِّهِۦ﴾؛ بقصد تشريف تلك الآيات، فالمضاف يكتسب كرامته ممّا أضيف إليه، فكيف إذا أُضيفت إلى العظيم، وبيان كمالها لنسبتها إلى الرَّبِّ سبحانه.

نكتةُ جمعِ الآيات:

إقـامـةُ الحـجَّـةِ الـوافـيـة بـكـثـرة الأدلَّـــة وتـنـوُّع البراهين

جُمِعت الآيات في قوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِـَٔايَـٰتِ رَبِّهِۦ﴾؛ لاستلزام الهيمنة والعظمة والقدرة الباهرة على إيجاد الآيات الكونية، ولبيان الكثرة المتناهية، فالآية ليست واحدة، وإنَّما متعدِّدة؛ لتناسب كلَّ عقلٍ وفهْم، فكان الجمع مستوعبًا لعقل كلِّ مَن يعقل، وفَهْم كلِّ مَن يفهم، وبها أُقيمت الحُجَّة على المكذِّبين، فإنَّ مَن لم تتبيَّن له آية؛ بانت له أخرى.

نكتةُ اختيارِ الإظهار دون الإضمار:

عـنـد مـواضـع الـشَّـرف يـزداد الإنـكـار عـلى المكذِّب المُعانِد

في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِـَٔايَـٰتِنَا ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا۟ بِهَا خَرُّوا۟ سُجَّدًا وَسَبَّحُوا۟ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ۩ ﴿١٥﴾﴾ [السجدة: 15] جاء لفظ الآيات مضافًا إلى الضَّمير، وفي قوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِـَٔايَـٰتِ رَبِّهِۦ ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَآ ۚ إِنَّا مِنَ ٱلْمُجْرِمِينَ مُنتَقِمُونَ﴾ جاء لفظ الآيات مضافًا إلى لفظ الرُّبوبية، فيُسأل عن نكتة الإظهار هنا، والإضمار في المتقدمة، والجواب: أنَّ الإضمار جاء في سياق الحديث عن المؤمنين، فكان الإضمار فيه إكرام وعناية ورعاية وتقريب لجانب المؤمنين، وإشعار بالخصوصيَّة، بينما في هذه الآية فالإضافة اكتست بالجلال والهيبة والتشريف من لفظ الرُّبوبيَّة، ففيه زيادة في الإنكار على المُعرِض المُجرِم، ولبيان الفرق بين الفريقين.

سرُّ إضافة الرُّبوبيَّة إلى الضَّمير المُفرَد:

جاء استعمالُ عنوان الرُّبوبيَّة مضافًا إلى الضَّمير المفرد ﴿بِـَٔايَـٰتِ

عـنـد تـمـامِ النِّعمة تكمل المِنَّـة ويـزداد توبيخ المُكـذِّب وتقريع المُعرِض

رَبِّهِۦ﴾؛ لزيادة الإنكار على المعرض، فإنَّ مَن تولَّى تذكيره هو ربُّه الذي خلقه، وربّاه، فهو المربّي لهم بالإيجاد وإدرار النِّعم[1]، ومِن هذه النِّعم تذكيرُ المُعرِض بالآيات الواضحات، كما أنَّ الربَّ سبحانه سببٌ في وصول النّاس إلى درجة الكمال؛ لأنَّ الرُّبوبيَّة في الأصل بمعنى التربية، وهي تبليغُ الشَّيءِ إلى كماله شيئًا فشيئًا[2].

ولم يُجمع الضَّمير، فيقال: (بآيات ربهم) - والكلامُ عائدٌ على الاسم الموصول المقتضي العمومَ والشمولَ - لمراعاة الاسم الموصول (من) من حيث اللفظ، وللإيماء إلى عراقة كفرهم واحدًا واحدًا على الرَّغم من رعايتهم وإمهالهم واحدًا واحدًا، فالإفرادُ انصبَّ على كلِّ معرضٍ وحده، وهذا أشدُّ في التَّعريض في الوعيد، وللإيماء إلى مسؤوليَّة كلِّ واحدٍ عن تصرُّفاته، فلكلِّ فردٍ تذكيرٌ، ولِكُلِّ فَردٍ مسؤوليَّةٌ ينبغي أن يتحمَّلها.

بلاغةُ استعمال حرف التراخي:

رتبـةُ الإعـراضِ بعد رتبة التَّذكير مـسـتـبـعـدةٌ في الـعـقـول السليمة

جاء حرف التراخي ﴿ثُمَّ﴾، في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَعۡرَضَ عَنۡهَآۚ﴾؛ لقصد الدِّلالة على تراخي رتبة الإعراض عن الآيات بعد التذكير بها تراخيَ استبعادٍ وتعجيبٍ من حالهم[3]، فالإعراض عن مثل آيات الله في وضوحها وإنارتها وإرشادها إلى سواء السَّبيل والفوز بالسعادة العظمى بعد التذكير بها مستبعَدٌ في العقل والعدل، كما تقول لصاحبك: (وجدتَ مثلَ تلك الفرصة، ثمَّ لم تنتهزها!) استبعادًا لتركه الانتهاز[4]، وفائدةُ ﴿ثُمَّ﴾ أنَّها تُعطي معنى استمراريَّة تأثير الآيات، فالمعنى: أنَّ من وقع له التذكير بها في وقتٍ ما، فأخذ يتأمَّل فيها، ثمَّ أعرض عنها بعد ذلك، ولو بألف عام، فهو أظلم الظالمين[5].

(1) البقاعي، نظم الدرر: 10/ 338.
(2) البقاعي، نظم الدرر: 10/ 338.
(3) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 21/ 233.
(4) الزمخشري، الكشاف: 3/ 515.
(5) البقاعي، نظم الدرر: 15/ 262.

توجيهُ المتشابه اللَّفظي:

للسياق الأثر الكبير في توجيه معاني الحروف

جاء قوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِـَٔايَـٰتِ رَبِّهِۦ فَأَعْرَضَ عَنْهَا﴾ [الكهف: 57]، بحرف الفاء، بينما في سورة السجدة: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِـَٔايَـٰتِ رَبِّهِۦ ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَآ﴾، فجاء بحرف التراخي، فيُسأل عن حكمة ذلك؟.

وذلك أنَّه لمّا ذَكَر في آية الكهف إرسالَ الرُّسل، فذكر إعراض الأقوام عقب دعاء الرُّسل إيّاهم عند جدالهم المذكور في قوله تعالى: ﴿وَيُجَٰدِلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِٱلْبَـٰطِلِ لِيُدْحِضُوا۟ بِهِ ٱلْحَقَّ﴾ [الكهف: 56]؛ كان التَّعقيب بيِّنًا، فورد بالفاء، وأمّا آية السجدة؛ فلم يقع فيها ذكر إرسال الرُّسل، ولا شكَّ أنَّ استحقاق جزائهم بذلك إنَّما هو في تماديهم في الكفر مدى حياتهم إلى الوفاة، فكان المناسبُ حرفَ التراخي[1].

نكتةُ تعديةِ فعل الإعراض بحرف (عن):

تجاوزُ الآياتِ وتركُها دليلُ المُكنة في الغفلة والكبر

دلَّ حرف (عن) في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَآ﴾ على معنى أنَّهم نسوا الذِّكر والآيات متجاوزينها إلى طريق الضَّلالة والاستكبار والفسق، وفي المجاوزة تعمُّدٌ وإهمالٌ وعدم اعتبار لهذه الآيات على الرغم مِن كثرتها وتتابعها وتنوُّعها، ثم إنَّ فعل ﴿أَعْرَضَ﴾ جاء متعدّيًا بحرف الجرِّ (عن) في القرآن كلِّه.

علَّة فصل جملة التذييل:

الانتقام من المجرمين جزاءٌ عادل وطُمأنينة واجبة

فُصِلت الجملة المؤكِّدة: ﴿إِنَّا مِنَ ٱلْمُجْرِمِينَ مُنتَقِمُونَ﴾ عمّا قبلها للاستئناف البيانيِّ الناشئ عن تفظيع ظلم الذي ذُكِّر بآيات ربِّه، فأعرض عنها؛ لأنَّ السّامع يترقَّب جزاء ذلك الظالم[2]، فكأنَّ سائلًا قد سأل: ما جزاء هؤلاء الذين أعرضوا؟ فجاء الجواب: إنّا منهم منتقمون، فالجملة وعدٌ ووعيدٌ، وعدٌ للمؤمنين بنصرهم على

(1) الغرناطي، ملاك التأويل: 2/ 320.
(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 21/ 233.

عدوِّهم، ووعيدٌ وتهديدٌ للكفّار الذين لم يؤمنوا بآيات ربِّهم، فهو شبه كمال الاتصال؛ لأنَّ الجملة الثانية جاءت جوابًا عن سؤال يُفهم مِن الجملة الأولى.

فائدةُ تتابُع المؤكِّدات:

ثباتُ الانتقام وعراقته مع الإيجاز

جاءت جملة: ﴿إِنَّا مِنَ ٱلۡمُجۡرِمِينَ مُنتَقِمُونَ﴾ مشتملةً على أكثر من تأكيد، من مثل الجملة الاسميَّةِ وأداة (إنَّ)، وفائدة التوكيد إظهار الثبات في الانتقام وكمالِ الرغبة فيه، فهو بمنزلة إعادة الجملة مرَّتين[1]، فالتركيب رشيقٌ، لا يحمل ما يعكِّر صفوه، وعُبِّر بصيغة العظمة؛ تنبيهًا على أنَّ الذي يحصل لهم من العذاب لا يدخل تحت الوصف على مجرَّد العِداد في الظالمين، فكيف إذا كانوا أظلم الظالمين[2]؟.

معنى تعريف لفظ ﴿ٱلۡمُجۡرِمِينَ﴾:

لفظ ﴿ٱلۡمُجۡرِمِينَ﴾ جمعٌ مُحَلَّى بـ(أل)، فهو دالٌّ على العموم، فيدخل فيه كلُّ مجرم أعرضَ عن الآيات، والمذكورون في قوله تعالى: ﴿وَلَوۡ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلۡمُجۡرِمُونَ نَاكِسُواْ رُءُوسِهِمۡ﴾ [السجدة: 12]، وكلُّ مجرم بصفةٍ عامَّةٍ.

فائدةُ إيثارِ إظهار لفظ ﴿ٱلۡمُجۡرِمِينَ﴾:

المعرضُ عن الذِّكر مجرمٌ مستحقٌّ للانتقام المبين

آثرَ النظمُ الكريم إظهارَ لفظ ﴿ٱلۡمُجۡرِمِينَ﴾ دون الإضمار، فلم يقل: (إنّا منهم منتقمون)؛ وذلك لقصد التسجيل عليهم بأنَّهم في إعراضهم مجرمون، أي: آثون بجُرم، وهو جُرم تكذيب الرسول ﷺ وتعطيل الدليل[3]، وفائدةٌ أخرى: وهي أنَّه لمّا جعل المعرِض أظلَمَ من كُلِّ ظالمٍ، ثم توعَّد المجرمين عامَّةً بالانتقام منهم؛ دلَّ على إصابة الأظلم النَّصيبَ الأوفرَ من الانتقام، ولو قاله بالضمير لم يفد هذه الفائدة[4].

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 3/ 188.
(2) الشربيني، السراج المنير: 3/ 213.
(3) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 21/ 221.
(4) الزمخشري، الكشاف: 3/ 515.

بالإضافة لما في الإظهار من العموم الزمانيِّ والمكانيِّ، فَمَن فعل فِعلَهم؛ استحقَّ عقابهم، لكن لو جاء التركيب: (إنا منهم منتقمون)؛ لاحتمل الدِّلالة على قومٍ بأعينهم، فكان الإظهارُ عامًّا، والإضمار خاصًّا، والعموم أولى في التَّحذير لكلِّ من تسوِّل له نفسُه الإجرامَ والصدَّ عن سبيل الله تعالى، ويُضاف إلى ذلك بيانُ السَّبب، فسبب الانتقام هو الجرم المرتكب، ولو جاء بالضَّمير؛ لما ظهر سببُ الانتقام، ولكان السَّببُ هو مجرَّد الإعراض لا الجرم.

غرضُ تقديم شبه الجملة:

قُدِّمت شِبهُ الجملة ﴿مِنَ ٱلۡمُجۡرِمِينَ﴾ على ﴿مُنتَقِمُونَ﴾ لتحقيقِ غرض الحصر والتخصيص، ففيه مِنَ التَّرهيب والتخويف والتَّهديد لكلِّ مجرمٍ في كلِّ زمان ومكان أنَّه مرصود بالانتقام.

دلالةُ استعمال مفردة ﴿مُنتَقِمُونَ﴾ مادَّةً وصيغةً:

شـدَّةُ الانتقامِ عـدلٌ اقتضاه شديد الكفران

جاء اختيار مفردة الانتقام، وهي المكافأة بالعقوبة على ذنبٍ عظيم، وهذا فيه من الشدَّة والقسوة المنبئة عن عظيم ما اقترفه المجرمون، وتمتاز الصيغة بأنَّها اسمُ فاعل، دالٌّ على الثبات، أي: إنَّ الانتقام عريقٌ ثابتٌ لا يتزعزع، بالإضافة إلى كون اسم الفاعل من وزن (افتعل) الدّالِّ على معنى الإصابة مع التصرُّف والطلب والاجتهاد[1]، وهذه دالَّة على شدَّة الانتقام وقسوته ودوامه عليهم في الدُّنيا إمّا باطنًا بالاستدراج بالنِّعم، وإمّا ظاهرًا بإحلال النِّقم، وفي الآخرة بدوام العذاب على ممرِّ الآباد[2]، ويُضاف لذلك دلالةُ الجمعِ الدالِّ على الكثرة، فالانتقامُ كائنٌ من قِبَل الله تعالى، أو ملائكته بأمره سبحانه.

(1) سيبويه، الكتاب: 4/ 74.

(2) الشربيني، السراج المنير: 3/ 213.

❁ الفُروقُ المُعْجَميَّةُ:

الإعراضُ والنأي:

الإعراض عن الشيء أن يوليه عُرض وجهه[1]، والنأي: أن يلوي عنه عطفه، ويوليه ظهره، وهو صرف وإبعاد بقوَّة[2]، ففي الإعراض صدٌّ، وليس شرطًا الابتعاد، أمّا النأي فَصَدٌّ مع تباعد، ويأتي الإعراض معنويًّا وحسيًّا، بينما يغلب على النّأي الجانب الحسّيُّ.

الإعراض في المعنويّات والحسّيّات بينما يغلب النَّأي في الحسّيّات

الإجرام والظُّلم:

الظُّلم وضع الشَّيء غير موضعه تعدّيًا[3]، إمّا بنقصان أو بزيادة، وإمّا بعدول عن وقته أو مكانه، أمّا الإجرام؛ فيُستعمل في كلامهم لاكتساب المكروه، ولا يكاد يقال للكسب المحمود، وجَرَمَ إليهم، وعليهم جَريمة، وأجْرَم: جنى جِناية[4]، فالإجرام: ظلمٌ يختصُّ بالجنايات، والظُّلم أعمُّ.

الإجرام ظلمٌ مختصٌّ بالجنايات والظُّلم أعمُّ

(1) ابن فارس، مقاييس اللغة: (عرض)، والزمخشري، الكشاف: 2/ 689.
(2) جبل، المعجم الاشتقاقي: (نأى).
(3) ابن فارس، مقاييس اللغة: (ظلم).
(4) ابن منظور، لسان العرب: (جرم).

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الرابع والأربعون،
سورة لقمان من الآية 21 إلى سورة الأحزاب الآية 25
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1446هـ - 2025م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2025م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: المجلد الرابع والأربعون، سورة لقمان من الآية 21 إلى سورة الأحزاب الآية 25
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2025.
مج. 44 ، 800 صفحة؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-732-97-6
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 44 : المجلد الرابع والأربعون، سورة لقمان من الآية 21 إلى سورة الأحزاب الآية 25.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي : 978-9948-732-97-6
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-4197137 بتاريخ 2025/01/02م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»